ضحية أم جاني
تسنيم عبد التواب
أكاديمية الكاتب
POLICE LINE - DO NOT CROSS
رواية

ضحية أم جاني

رواية

تسنيم عبد التواب

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب :ضحية أم جاني

المؤلف :تسنيم عبدالتواب

تصنيف الكتاب :رواية

المقاس20 *14

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-29-1-260313

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

القاهرة، الساعة الخامسة مساءً...

-ماقتلتهاش والله ماقتلتها

-يعني مين اللي قتلها؟ مفيش غيرك اللي بصماته موجودة على كوباية الشاي اللي شربت منها.

-ماعرفش، أيوه أنا اللي عملت الشاي، بس أنا بريء

أرجوك صدقني.

-وأقوال زوج أختك واتهامه ليك إنك هددتها قبل كده بالقتل.

-كذاب والله كذاب، دي أختي يا بيه، مستحيل أعمل فيها كده، صدقني أنا بريييييئ.

لم يكن هذا سوى صوت عمر، هذا الشاب الذي يملك من العمر واحدًا وعشرين عامًا، أي شاب في ريعان شبابه، يتم اتهامه بارتكاب جريمة قتل بشعة، ولمن؟ لشقيقته.

اليوم الأول - الأحد

ها هو يجلس وحيدًا في غرفة من أربعة جدران يملؤها السواد، فقط يضيئها هذا الضوء القادم من خلف القضبان، نعم، إنها زنزانة.

فقد أمر وكيل النيابة بالحبس الاحتياطي له لمدة أربعة أيام على ذمة التحقيق، ولكن اليوم هو اليوم السادس عشر له هنا، بعد أن تم إحالة أوراقه للمحكمة وتحديد أول جلسة له بعد أسبوع.

كان يجلس على الأرض الباردة، ضامًّا رِجليه إلى صدره، وجهه شاحب، والهالات السوداء تملأ تجويف عينيه الشاردة، فهو لا يصدق ما يحدث له حتى الآن، إنه متهم بقتل أخته.

وهل ماتت أخته حقًّا؟

فموتها في الأصل حتى الآن لا يستطيع استيعابه.

قطع شروده دخول أمين الشرطة، الذي هتف له مناديًا يخبره بوجود زيارة له...

عندما دخل إلى غرفة الزيارة أبصر زائره، إنه صديقه، إنه يوسف...

كان يوسف، هذا الشاب الذي يملك من العمر خمسة وعشرين عامًا، يجلس في انتظار صديقه، حيث علم بما حدث له بعد عودته من رحلة العمل التي كان فيها مع والده.

فبعد اختفائه المفاجئ وعدم رده على اتصالاته، قرر الذهاب لمنزله للاطمئنان عليه، وعندما وصل أخبره الجيران بما حدث له.

وها هو الآن يجلس في انتظار رؤيته، وهو لا يصدق أن صديقه أقدم على ارتكاب مثل تلك الجريمة البشعة.

أفاق من تلك الصراعات التي بداخل رأسه على نداء أحدهم باسمه، ليبصر صديقه ويهتف بصدمة:

عمر!

كانت الصدمة شديدة عليه، فمن أمامه لم يكن عمر، هذا الشاب المليء بالحيوية، بل كان شخصًا آخر بملامح شاحبة.

ارتمى عليه عمر محتضنًا إياه بقوة، وهو يبكي مرددًا:

أنا ماقتلتش أختي يا يوسف، أرجوك صدقني، ماتظلمنيش زيهم.

لتسقط الدموع من عيني يوسف متأثرًا بالحالة التي وصل إليها صديقه، ثم أخذ يربت على كتفه بهدوء:

اهدَى يا صاحبي، أنا مصدقك، اهدى.

هدأ عمر قليلًا، ثم ابتعد عنه لينظر يوسف إلى وجهه، يهتف بحزم:

اقعد كده واحكيلي اللي حصل من البداية.

جلس عمر مقابله، ثم بدأ يسرد ما حدث...

كنت لسه راجع من الشغل، كانت الساعة وقتها حوالي خمسة المغرب، لقيت الباب بيخبط، لما فتحت لقيت أختي وجوزها وابنهم سليم.

رحبت بيهم وأنا مستغرب زيارتهم، لأنهم قليل جدًا لما بيزوروني.

قعدوا في الصالون وسألتهم لو يشربوا شاي، شيماء قالت ماشي لكن سيد قال مش عايز، لأنه لسه شارب في الورشة بتاعته.

دخلت المطبخ أعملهم الشاي، ومعايا ابنهم سليم شايله بلاعبة.

بعد ما عملت كوبيتين الشاي ليا أنا وشيماء، خرجت وحطّيت الصينية على الترابيزة، بس قبل ما أقعد طلب مني سيد ندخل البلكونة، لأنه عايز يتكلم معايا في موضوع مهم.

كان نفس الموضوع بتاع كل مرة، عايزين مني أسيب شقة أبويا الله يرحمه، اللي كتبها ليا أنا وشيماء، عشان يبيعوها ويدخل هو بفلوسها في مشروع، واخدلي أنا أي شقة إيجار بالفلوس اللي هتطلعلي من الشقة.

كان ممكن أوافق لو ضامن إنه فعلًا مش هيضيع الفلوس، وإنها هتكون سبب في رزقهم، بس أبويا كان وصاني قبل ما يموت إني ما أبيعش الشقة دي إلا للضرورة، وإني أسيبها للزمن، ممكن شيماء تحتاجها في يوم من الأيام.

عشان كده رفضت، واحتد النقاش ما بيننا، وصوتنا بدأ يعلى، فدخلت شيماء تهدينا وطلبت مننا ندخل نتفاهم جوه.

توقف عمر يأخذ نفسًا عميقًا، ثم أكمل:

كنا قاعدين في الصالون بنكمل كلامنا، بس فجأة لقينا شيماء وقعت، جسمها كله بيتشنج، ومش قادرة تاخد نفسها.

جريت عليها وأنا بصرخ لسيد يطلب الإسعاف بسرعة.

فعلاً وصلوا بعد حوالي ربع ساعة ونقلوها للمستشفى.

كانت وقتها فاقدة الوعي ولسه التشنجات مستمرة.

دخلوها قسم الطوارئ، وفضلنا إحنا مستنيين بره، وبعد حوالي نص ساعة خرج الدكتور وقالنا إنها... إنها...

خد وقتك، أنا سامعك.

كان هذا صوت يوسف، الذي أخذ يربت على يده مطمئنًا له عندما رأى الدموع تهطل من عينيه.

مسح دموعه، ثم أكمل:

إنها ماتت، وإنه هيبلغ الشرطة عشان فيه اشتباه إنها حالة تسمم.

ماكنتش مصدق... ماتت؟ واشتباه تسمم؟ طب إزاي؟

وفعلًا جت الشرطة وخدوا أقوالنا أنا وسيد، بعد كده أمروا بإرسال الجثة للطب الشرعي وتفتيش شقتي.

وبعد حوالي أسبوع جالي استدعاء من النيابة.

لما وصلت هناك قابلت سيد وهو خارج من أوضة وكيل النيابة، حاولت أتكلم معاه بس سابني ومشي كأنه بيهرب مني.

استغربت موقفه وقتها، لكن عرفت ليه عمل كده.

لما دخلت لوكيل النيابة بدأ يحقق معايا، قالي إن نتائج الطب الشرعي ظهرت، وإن أختي ماتت بفعل سم وصلها عن طريق الفم.

انهارت وقولتله إزاي وصلها ومين حطه ليها؟

قالي: يعني مش أنت؟

قولتله مصدوم: أنا إزاي يا باشا؟.

وقتها قالي إن السم كان في كوباية الشاي اللي شربته، واللي أنا عملته، وإن مفيش بصمات على الكوباية غير ليا وليها، ده غير إن جوزها شهد بإني قبل كده هددتها بالقتل.

وقتها انهارت وقعدت أصرخ إنه مش أنا، وإني مستحيل أعمل كده، بس ماصدقنيش، وأمر بالحبس الاحتياطي ليا لمدة أربع أيام على ذمة التحقيق، لكن الأربعة بقوا ثمانية، والـ ثمانية بقوا ستاشر، لحد ما بلغوني إن القضية راحت المحكمة واتحددت أول جلسة ليا بعد أسبوع.

انتهى عمر، ولكنه ظل خافضًا رأسه يحاول إخفاء دموعه التي لم تأبَ النزول.

يوسف بحزم:

ارفع رأسك يا صاحبي وبصلي.

رفع رأسه ينظر له، لكن كانت عينيه منكسرتين بشدة، كان تائهًا حقًا.

أمسك يوسف يده، ثم أردف بهدوء:

متعود عليك قوي يا صاحبي، ماتخليش الضعف يتمكن منك.

أجابه بنبرة حزينة:

أنا بقيت لوحدي يا يوسف، كلهم سابوني وراحوا.

ماتقولش كده، أنت مش لوحدك، أنا هنا معاك، اسند عليا يا صاحبي وماتشيلش هم.

نظر له عمر ممتنًا، فهو كان بحاجة ماسّة إلى سماع مثل تلك الكلمات حقًا.

قطع حديثهم صوت أمين الشرطة وهو يهتف بانتهاء

وقت الزيارة.

ليودعه يوسف واعدًا له أنه سيثبت براءته مهما كلفه الأمر، فقط يريد منه أن يبقى قويًا كما عرفه دومًا، وألا يجعل الضعف واليأس يتمكنان منه أبدًا...

* * * *

اليوم الثالث - الثلاثاء

إيه يا بابا، هنفضل نستنى حضرة المحامي ده كتير؟ الساعة داخلة على ستة.

كان هذا صوت يوسف المليء بالضجر، بعد أن سئم من انتظار المحامي، فبعد انتهاء زيارته لعمر قام بالاتصال على والده الباشمهندس أيمن وشرح له الوضع سريعًا، طالبًا منه أن يبحث له عن محامٍ جدير يمكنه العمل على تلك القضية، بحكم معارف والده الواسعة كرجل أعمال.

ومر يوم، ثم اتصل به والده طالبًا منه المجيء إلى الشركة لمقابلة المحامي في مكتبه الساعة الخامسة.

ابتسم والده بهدوء، ثم أجابه:

كل تأخيرة وفيها خيرة، مستعجل على إيه؟ وبعدين ما أنت قاعد معايا أهو، ولا زهقت مني؟

أجابه يوسف مسرعًا:

لا طبعًا يا بابا، ما تقولش كده، أنا بس متوتر شوية.

ثم هتف مداعبًا إياه:

وبعدين يا حج، هو أنت يتزهق منك برضه؟

أخذ والده يعدل ياقة قميصه، ثم رد عليه مدعيًا الغرور:

لا طبعًا، هو أنا أي حد؟

ليضحك يوسف من قلبه على تصرفات والده.

أيوه كده يا ابني، اضحك وسيبها على ربنا، إن شاء الله ربنا هيظهر الحق، وعمر هيخرج منها بالسلامة.

سيطر الحزن على صوت يوسف وهو يجيب والده:

خايف يا بابا، خايف عليه أوي، حضرتك ماشوفتش شكله كان عامل إزاي، ده مكنش عمر اللي أنت تعرفه، كان حد تاني بائس ومحبط.

-ماتخافش، عمر طول عمره إنسان قوي وحمول، وإحنا مش هنسيبه، هنعمل كل اللي نقدر عليه. فريد قالي إنه هيبعتلي أشطر محا...

قاطع حديثه صوت اتصال السكرتيرة به، مخبرةً إياه بوصول المحامي، ليأمرها بأن تدخله فوراً .

وفتح الباب، ليسمع يوسف صوت خطوات قادمة نحوهم، ولكنها بدت غريبة قليلًا.

هل هذا صوت كعب؟

أدار رأسه في اتجاه الباب، لتملأ الدهشة عينيه قبل أن يهمس بصدمة:

بنت!

كانت تتقدم نحوهم بينما يزين وجهها ابتسامة رسمية، والتي سرعان ما اختفت بمجرد وصول همس هذا البغيض، كما أطلقت عليه، إلى مسامعها.

لم تعره اهتمامًا، وواصلت التقدم، ثم مدت يدها إلى والده:

أهلًا بحضرتك يا فندم، أنا آسيل المحامية اللي أستاذ فريد بعتها لحضرتك.

بادلها الباشمهندس أيمن السلام مرحبًا بها:

أيوه طبعًا، أهلًا بحضرتك أستاذة آسيل، اتفضلي استريحي.

لتجلس آسيل متجاهلة يوسف تمامًا، الذي قد ملأه الغيظ من تجاهل تلك الفتاة له، ليردف فجأة بدون مقدمات وبنبرة متهكمة:

مواعيدك مش مظبوطة يا أستاذة آسيل.

نظرت له أسيل بصمت، ثم ابتسمت بهدوء مجيبةً إياه:

مين حضرتك؟

لم يكن يتمنى يوسف في هذا الوقت سوى محو تلك الابتسامة المستفزة المرسومة على وجهها.

لاحظ والد يوسف الجو المشحون بينهم، ليهم هو بالرد قبل يوسف:

ده باشمهندس يوسف الدمنهوري، ابني، يا أستاذة آسيل.

– تشرفنا.

قالتها وهي ما زالت تنظر إلى أبيه دون أن تعيره أي اهتمام، مما جعله يستشيط غضبًا من تلك الفتاة الكامنة أمامه بغرور، غرور يليق بها حقًا.

أخذت أسيل نفسًا عميقًا قبل أن تردف بجدية:

أستاذ فريد قالي كل حاجة بخصوص القضية، وبما إن ناقص ستة أيام على أول جلسة، بكرة إن شاء الله هقدم طلب مأمورية الشهر العقاري عشان عمر يعملي توكيل رسمي، وهقدم طلب زيارة ليه عشان نتفق على كل حاجة.

إحنا اللي هندفعلك أتعابك يا أستاذة آسيل، مش محتاجة تتفقي معاه على حاجة.

كان هذا صوت يوسف الذي يحمل نبرة سخرية.

جزّت على أسنانها، ثم أجابته بسخرية هي الأخرى:

أنا هروح أتفق معاه على اللي هيحصل والإجراءات اللي هبدأ بيها، مش على فلوس، يا...

ثم صمتت قليلًا، مدعية محاولة تذكر اسمه، قبل أن تكمل بانتصار:

آه، باشمهندس يوسف، مش كده؟!

لو كان بإمكانها لأقسمت أنها تشم الآن رائحة فوران دم هذا البغيض الجالس أمامها.

حاول والده تلطيف الجو قائلًا:

بما إن سيرة الأتعاب اتجابت، كل اللي حضرتك تأمري بيه يا أستاذة آسيل أنا مستعد أدفعه.

ابتسمت بهدوء على لطف هذا الرجل:

أنا مش هاخد أي أتعاب على شغلي يا فندم، حضرتك من طرف أستاذ فريد، وحضرته ليه فضل عليّ كبير جدًا بعد ربنا، ودي أقل حاجة أعملها عشانه.

لا طبعًا يا بنتي، مش هينفع، لازم تاخدي مقابل تعبك، واسمحيلي أقولك بنتي، أنتِ قد ولادي.

أجابته مسرعة:

آه طبعًا يا فندم، قول اللي يعجبك، بل شكرًا لحضرتك على المكانة اللي حطتني فيها دي.

ثم تابعت وهي تنهض:

هستأذن أنا حضرتك عشان ألحق أبدأ في الإجراءات.

نهض والد يوسف هو الآخر، وعيناه مليئتان بالإعجاب بتلك الفتاة المؤدبة اللبقة:

إذنك معاكي يا بنتي، وليا كلام مع فريد بخصوص أتعابك، مش هتعرفي تهربي ها.

لتضحك بخفوت، ثم ودعته وغادرت، متجاهلة يوسف تمامًا، الذي بمجرد أن غادرت هتف لوالده بغضب:

شايف قلة ذوقها يا بابا؟ ده ولا كأني كرسي قاعد قدامها!

ضحك عليه والده قائلًا بشماتة:

تستاهل، أنت اللي بدأت الأول تضايقها.

أجابه بصدمة بينما يشير إلى نفسه:

أنا يا بابا؟!

آه إنت، ثم أخذ يقلده:

مواعيدك مش مظبوطة يا أستاذة آسيل! اسم الله عليك يا حبيب أبوك، قال يعني أنت اللي بتيجي في مواعيدك.

تنحنح يوسف بإحراج، ثم أردف بعند:

أنا مش واثق فيها بصراحة إنها تمسك قضية عمر، أنا عايز راجل مش بنت.

أجابه والده بثقة:

أنا واثق في فريد، ده غير إني بدأت أثق فيها، شكلها شاطرة وواثقة من نفسها.

ليجيبه يوسف على مضض:

بكرة نشوف...

اليوم الرابع - الأربعاء

كانت تجلس في غرفة الزيارة في انتظار قدوم عمر،

حتى أتى، لتنهض من مكانها تحييه، ثم أردفت مُعَرِّفة عن نفسها:

أنا آسيل، المحامية الخاصة بيك يا باشمهندس عمر.

أجابها بخفوت:

أهلًا بحضرتك.

ثم سألها بتردد:

يوسف اللي باعت حضرتك؟

أومأت له نعم برأسها، ثم أردفت:

أنا على علم بكل حاجة حصلت معاك لحد دلوقتي، بس حابه أسمع منك مرة تانية لو تسمح.

– مفيش مشكلة.

ثم بدأ يروي لها القصة منذ البداية، كان يروي وهو يحاول التحكم في انفعالاته كي لا تخونه دموعه مرة أخرى.

بينما تنصت له أسيل في صمت دون أن تقاطعه، فقط تراقب انفعالاته وتعابير وجهه التي شعرت منها أن كل كلمة يتفوه بها هي الحقيقة بعينها، حتى انتهى، لتسأله بهدوء:

تسمحلي أسألك شوية أسئلة يا عمر؟

– اتفضلي.

– ليه والدك طلب منك ماتبعش الشقة؟ وليه ممكن شيماء تحتاجها؟ ليه قالك كده؟

أجابها بهدوء:

والدي الله يرحمه مكنش موافق على جوازة شيماء لسيد من البداية، كان شايف إنه مايعتمدش عليه، وده بسبب سمعته اللي كانت مالية المنطقة بأنه ضيع ورثه وورث أخواته البنات في حاجات مالهاش لازمة.

عشان كده والدي قبل ما يتوفى وصاني مابيعهاش إلا للضرورة، خوفًا على شيماء إن سيد يسيبها في يوم من الأيام ومايكونش

ليها مأوى هي وعيالها.

سألته باستغراب:

طيب وليه والدك وافق من الأول على الجوازة دي؟

– عشان شيماء كانت مصرة عليه، وهددته إنها لو متجوزتوش مستحيل تتجوز غيره،

فاضطر يوافق خوفًا عليها من الوحدة.

أومأت له بتفهم، ثم سألته:

طيب علاقتك أنت وشيماء كانت عاملة إزاي؟

تفاجأ عمر بالسؤال، ليغمض عينيه قليلًا، يبلع تلك الغصة التي تشكلت في حلقه بينما يستدعي ذكرياته معها.

لاحظت أسيل التغيرات التي ظهرت على وجهه، لتقول له:

لو مش حابب ترد على السؤال براحت...

ليقاطع كلامها وهو ما زال مغمض العينين:

كانت دايمًا عينيها فيها نظرة اتهام ولوم ليا بإني... إني السبب في موت أمنا.

ثم خانته دموعه مرة أخرى، تتسارع بالسقوط.

– عمر، لو مش قادر تكمل خلاص.

كان هذا صوت أسيل التي هتفت له مسرعة بعد ما أصابها التوتر عندما رأت دموعه.

لكنه أكمل وكأنه لم يستمع لها:

والدتي الله يرحمها لما حملت بيا كانت عندها مشاكل صحية، والدكاترة قالولها إنها مش هينفع تكمل الحمل وأنه لازم ينزل، لكن هي كانت مصرة على إنها تكمله،

لحد ما جه يوم الولادة وحصل لها مضاعفات صعبة أدّت لوفاتها،

وسابتني أنا وشيماء، اللي كان عندها سبع سنين، لبابا اللي رفض يتجوز بعدها وأصر يربينا لوحده.

لما بدأت أكبر وأوعى للي حواليا، بدأت أحس بتجنب شيماء ليا دايمًا وعينيها اللي مليانة كره ولوم اتجاهي، لحد ما جه اليوم اللي اعترفتلي فيه وأنا عندي عشر سنين إنها بتكرهني وإني السبب في موت أمي.

تشكلت ملامح الألم على وجهه وكأن تلك اللحظة حدثت الآن، ليصمت قليلًا قبل أن يكمل بألم أتى من لب قلبه:

رغم إن اعترافها ده جرحني وخلاني أعيش طول عمري وأنا حاسس بذنب مش ذنبي، لكني عمري ما كرهتها، بالعكس فضلت أحبها وأحاول على قد ما أقدر أسعدها.

كنت كل ما يبقى معايا فلوس أنزل أشتري ليها كل حاجة ممكن تحتاجها هي وسليم.

بس... بس نظرتها ليا عمرها ما اتغيرت، على قد كرهها ليا على قد ما كنت بحبها،

أنا ماكنش ليا غيرها، أنا بقيت وحيد دلوقتي من غيرها، بقيت في الدنيا دي لوحدي.

سقطت دموع أسيل هي الأخرى، لتمسحها بسرعة وهي تهتف:

ماتقلقش يا عمر، أنا هعمل كل اللي أقدر عليه.

ثق في ربنا، ثم فيا، إن شاء الله ربنا هيظهر الحقيقة.

ثم تابعت بترجٍّ:

عمر، ممكن تبصلي؟

رفع عمر رأسه، ثم فتح عينيه ناظرًا لها، لكن...

تلك النظرة،

تلك النظرة التي كانت في عينيه تعرفها جيدًا، فلقد كانت تراها في عينيها كلما نظرت إلى المرآة منذ ثلاث سنوات.

هذا الانكسار، هذا الشرخ، بل الشروخ التي تراها في بؤبؤ عينيه آلمها كثيرًا، لكن في نفس الوقت أعطاها دفعة قوية إلى محاولة حصولها على براءته، لمحو تلك النظرة من عينيه مهما كلفها الأمر من مشقة...

أووف!

ألقت أسيل بسأم ما بيدها على سطح المكتب، ثم أمسكت برأسها متألمة من هذا الصداع الذي يكاد يفتك بها. فلقد مرت ثلاث ساعات وهي جالسة تقرأ في أوراق القضية، تحاول أن تجد خيطًا يوصل بها إلى دليل جديد قد يبرئ عمر، فلقد كانت كل الأدلة ضده بشكل لا يُصدق، فلولا أنها جلست مع عمر وأدركت صدق كلماته لظنته الفاعل.

قاطع تفكيرها صوت اتصال قادم من هاتفها.

أمسكت به لتجده رقمًا غير مسجل، فتجاهلته، ولكنه عاود الاتصال مرة أخرى لتجيبه:

ـ ألو؟

ـ أستاذة أسيل معايا؟

– أيوه، أنا... مين معايا؟

– معقول مش عارفة صوتي؟

– أنت هتهزر معايا ولا إيه؟ هتقول مين ولا أقفل السكة؟

– اهدي اهدي، أنتِ دايمًا عصبية كده، أنا باشمهندس يوسف الدمنهوري.

لتهدأ قليلًا:

أهلًا يا باشمهندس، مش تقول من الأول بدل لعب العيال ده.

أجابها بصدمة:

لعب عيال! أنا يتقالي لعب عيال؟

ردت عليه ببرود:

أُومال تسمي اللي بتعمله ده إيه؟

حاول يوسف تمالك أعصابه، فتلك الفتاة تثير غضبه بسهولة، ليأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يتابع بجدية:

أنا أخدت رقمك من أستاذ فريد عشان أسألك :وصلتِ لإيه لحد دلوقتي؟ باقي ثلاث أيام على الجلسة.

أجابته ببعض من اليأس:

للأسف كل الأدلة ضده، بحاول ألاقي خيط واحد بس يوصلني لحاجة تبرئه، مش لاقيه، واللي عقد الأمور أكتر اعتراف زوج شيماء عليه بأنه هددها قبل كده بالقتل.

يوسف بغضب:

الحيوان ده كداب! عمر مستحيل يهدد حد أصلًا، ويوم ما يهدد يهدد أخته!

أجابته بتفهم:

أنا عارفة ومصدقة إنه مستحيل يعمل كده ،بس للأسف الولد اللي شغال معاه في الورشة شهد بأنه سمعه فعلًا بيهدد...

ثم توقفت فجأة، وقد خطر على بالها فكرة، لتسأله مسرعة:

هو أنت تعرف مكان الورشة دي؟

أجابها يوسف باستغراب:

آه، كنت وصلت عمر هناك مرة بعربيتي.

أسيل بفرحة:

حلو أوي، طيب ممكن تبعتلي العنوان؟

– حاضر، بس ليه؟

أجابته بجدية:

عايزة أتكلم مع الولد اللي شهد في القضية، يمكن أطلع منه بحاجة.

ثم تابعت بأمل:

ما قدمناش حاجة نعملها غير كده.

أجابها بتفهم:

خلاص، هعدي عليكي بكرة الصبح نروح مع بعض.

لترد عليه بهدوء:

لا، مش عايزة أتعبك يا باشمهندس، ممكن حضرتك تبعتلي العنوان بس وأنا هروح لوحدي.

رد عليها بإصرار:

مفيش تعب ولا حاجة، دي أقل حاجة أعملها لصاحبي.

ثم تابع بجدية:

وبعدين المكان ده شعبي، مش هينفع تروحي لوحدك.

استفزتها كلماته الأخيرة لتسأله بسخرية:

وده ليه إن شاء الله؟ ليه مش هينفع أروحه لوحدي؟

علم يوسف أنه ان أدخل نفسه معها في نقاش لن ينتهي، لذا أردف بحزم:

بكرة هعدي عليكي على الساعة عشرة، ابقي ابعتيلي العنوان بتاعك على الرقم ده. يلا، سلام.

ثم أغلق الاتصال.

لتتسع عيناها وهي تردد بصدمة:

هو قفل في وشي؟!

* * * *

اليوم الخامس - الخميس

انطلق صوت بوق سيارة يوسف إشارة منه لأسيل عن مكان وجوده.

تأففت أسيل وهي تتجه نحوه، فهي لن تنسى له فعلته بالأمس وغلقه للاتصال في وجهها، بل وإجبارها على الذهاب معه أيضًا.

فتحت الباب الأمامي للسيارة، ثم جلست على المقعد دون أن تتفوه بكلمة واحدة.

وهنا أدرك يوسف أنها غاضبة منه بشدة.

لا يعرف لماذا، لكن غضبها يروقه حقًا، ليحاول إغاظتها قائلًا:

مفيش صباح الخير ولا إيه، داخلة على عزا؟

رمقته بطرف عينيها دون أن ترد عليه.

ليضحك بخفة وهو يستعد للانطلاق إلى... ورشة سيد.

عندما وصلوا إلى وجهتهم، ترجل كل من يوسف وأسِيل من السيارة قاصدين الورشة، وفي تلك الأثناء ظلت أسيل تتأمل المكان من حولها، فكان يعم بالضجة والضوضاء نظرًا لوجود سوق خضار بالقرب من

الورشة، وأيضًا كانت المباني قديمة جدًا ومتهالكة كأنها على وشك الانهيار.

أفاقت من تأملها على صوت يوسف وهو ينادي عليها للدخول إلى الورشة.

عندما دخلت، رأت شابًا، لا بل طفلًا لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره، يمسك منشارًا يحاول به تقطيع الخشب بتركيز قد تشتت عند دخولهم، ليترك ما بيده ويتقدم نحوهم.

تؤمروا بإيه يا أساتذة؟

أجابه يوسف متسائلًا:

أنت حمادة؟

تغيرت تعابير وجهه، ورد عليه بتوتر:

آه، أنا يا باشا حمادة.

نظر له يوسف قليلًا، ثم سأله بحزم:

أنت شهدت على عمر بأنه هدد أخته بالقتل قدامك، صح يا حمادة؟

سيطر الخوف على وجهه، ليرد عليه مسرعًا:

آه يا باشا،

ثم تابع بتردد: هو حضرتك مين يا باشا؟

أجابه بغضب:

أنا يوسف صديق عمر اللي إنت شهدت عليه زور.

أجابه بخوف بدا واضحًا في صوته:

أنا مشهدتش زور على حد يا باشا، أنا قلت اللي شفته.

كداب!

صاح بها يوسف غاضباً

لتتدخل أسيل مسرعة بعد أن رأت الخوف الذي قد سيطر على الولد من صياحه.

فأمسكت بذراعه تضغط عليه بخفة لكي يهدأ.

تفاجأ يوسف من حركتها، ثم نظر لها لتخبره بعينيها أن يهدأ قليلًا، ثم توجهت بنظرها إلى حمادة تخبره بهدوء:

إحنا مش جايين عشان نخوفك، إحنا جاين بس نقولك في واحد مظلوم بينه وبين الموت شعرة، تخيل بقى إنك تكون سبب في ظلمه في الدنيا، لكن مش دي النهاية، لأن في آخرة وهيقتص فيها من كل واحد ظلمه.

عايز تكون واحد منهم يا حمادة؟

حرك حمادة رأسه مسرعًا بلا.

لتسأله بهدوء:

طيب فين الحقيقة يا حمادة؟ وإيه اللي خلاك تشهد بكده؟

سقطت الدموع من عينيه والتزم الصمت.

ليمسكه يوسف من قميصه المهترئ، وقد وصل به الغضب إلى ذروته:

هتنطق يا لا ولا أنطقك بمعرفتي؟

سيطر الفزع على ملامح حمادة.

لتمسك أسيل يد يوسف الممسكة به وهي تهتف له بأن يتركه.

ليتركه بعد الكثير من المحاولات أخيرًا، وهنا أدركت أسيل أنهم لو ظلوا هكذا لن يخرجوا بشيء بسبب غضب هذا الأحمق.

لتخرج بطاقة من حقيبتها وهي تخبر حمادة بلطف:

حمادة، عايزاك تعرف بس إن الدنيا دي فانية، يعني مش مستاهلة إنك تعمل ذنب يكون سبب في عذابك في دار الحق.

ممكن ماتفهمش الكلام ده دلوقتي بحكم صغر سنك،

لكن لما تفهمه هتتمنى لو كان حد قالهولك بدري.

ثم مدت له يدها بالبطاقة مكملة:

ده رقمي، لما تحس نفسك جاهز تكلمني، كلمني.

أنا في انتظارك.

مد حمادة يده ساحبًا البطاقة منها بينما ينظر إلى الأرض في صمت تام.

لتبتسم له بهدوء، ثم ترحل هي ويوسف الذي كان عابسًا بشدة، فهو لم يزل غضبه ولن يزول أبدًا ما دام صديقه يمكث هناك وحيداً بين أربع جدران ....

كانت رحلة العودة صامتة، لم يتفوه بها أحد بكلمة حتى وصلوا إلى منزل أسيل.

شكرته أسيل بخفوت، ثم أمسكت بمقبض السيارة وهمَّت بفتحه، ليوقفها صوته وهو يخبرها بحزن بدا جليًا في نبرته:

كنتِ سيبيني أتصرف معاه، كان لازم يعترف بكدبه، خلاص ما عادش فيه وقت للانتظار أكتر من كده.

ثم تابع بنبرة مهتزة وكأنه يحدث نفسه:

أنا خايف، خايف الشخص اللي مسك إيدي في يوم من الأيام وأنقذني من الضياع يضيع هو دلوقتي من غير ما أقدر أعمله حاجة.

نظرت له أسيل تتأمله بهدوء، كانت ملامحه تنبع حزنًا قبل صوته حتى.

ورغم أنها كانت غاضبة منه،

لكن غضبها زال بمجرد رؤيته في تلك الحالة، كان فاقدًا للأمل بشدة.

ولهذا أخذت نفسًا عميقًا قبل أن تجيبه بينما تنظر إلى الطريق أمامها:

بص، رغم سني الصغير،

لكن الدنيا علمتني حاجات كثيرة جدًا، وأهم حاجة اتعلمتها هي الصبر وإنك تسيب حملك على ربنا، مش معنى كده إننا نقف مكانا منتحركش، لا، بالعكس إحنا نسعى، بس الفرق إننا هنسعى وجوانا يقين وثقة في ربنا إننا هنلاقي نتيجة سعينا، وأنا واثقة في ربنا إنه هيظهر الحقيقة عاجلًا أم آجلًا، فسيب حملك على ربنا يا يوسف.

ثم ترجلت من السيارة قاصدة منزلها،

بينما كان يوسف في عالم آخر، يتابعها بعينيه ناظرًا لها بعينين شاكرة حتى اختفت...

* * * *

في مكان آخر، سرعان ما تعلم ماهيته فقط من مجرد ذكر أن فيه ينتهي مفهوم مهم، مفهوم الحرية.

نرى عمر ممددًا على الأرض الصلبة، مغمض العينين، لكن ملامحه لا يبدو عليها السكون أبدًا، بل تبدو وكأنه يحارب شيئًا ما في أحلامه، ليستيقظ فجأة وهو يصيح باسم شيماء، ثم أخذ ينظر حوله في ذعر وهو يحاول أخذ نفسه بصعوبة، بينما وجهه يتصبب عرقًا، حتى بدأ يهدأ مدركًا أين هو، وأن هذا لم يكن حلمًا بل واقعًا يتمنى أن يستيقظ منه.

أخذ يزحف للخلف حتى أسند ظهره إلى الحائط، ثم رفع رأسه لأعلى مغمضًا عينيه، سارحًا في ذكرياته معها.

ربما لم تكن بينهم ذكريات تُذكر،

لكن كانت هناك ذكرى لم يرد نسيانها أبدًا،

بل احتفظ بها في قلبه لسنوات على الرغم من توقيتها العصيب عليه، لأنها كانت في يوم وفاة والده،

حيث كان يبكي خفية في غرفته،

ودخلت شيماء عليه الغرفة ورأته هكذا، لتقوم باحتضانه ممررة يدها على ظهرة باكية هي الأخرى.

ربما كان يعلم بداخله أنها هي من كانت بحاجة لهذا العناق، ولكنه لا يبالي، فلقد حظي بحنانها ولو لمرة واحدة...

* * * *

في مكان آخر، بينما الطريق يسوده ظلام الليل، كان يمشي عائدًا إلى منزله.

وملامح الحزن والتردد تسود وجهه بينما ينظر إلى البطاقة الذي تركتها له أسيل.

يشعر بالذنب؟ نعم، يشعر بذلك، ولكن لم يكن بيديه شيء سوى هذا، نعم، هو لم يذنب.

هذا ما قاله حمادة بداخله محاولًا إقناع نفسه بأنه على صواب، قبل أن تعود كلمات أسيل تتردد مرة أخرى في ذهنه عن أن الدنيا فانية، ولن يفيده شيء من هذا سوى بخسارة الآخرة التي فيها ربما سينعم بكل شيء قد افتقده في تلك الدنيا القاسية.

ليتوقف مكانه، ثم أخرج هاتفه بكل عزم هامًّا بالاتصال بها، ولكن شيء ما منعه من إكمال ما نوى عليه، ليسقط هاتفه أرضًا، بينما ملامح الفزع ترتسم على وجهه رويدًا رويدًا...

* * * *

اليوم السابع - السبت

كانت تنظر إلى هاتفها في ترقب وتركيز، آملة أن تتلقى اتصالًا من حماده، فلم يعد هناك وقت، الجلسة غدًا.

لطالما كان لديها حدس قوي بالبشر لم يخب أبدًا، حيث أدركت عند لقائها بحماده أن بداخله الخير، وأنه سيتصل، ولكن مرّ الأمس ولم يتصل، فهل خاب حدسها تلك المرة؟

قاطع تفكيرها صوت رنين هاتفها، لتهمّ بإمساكه في لهفة، لكن خاب أملها حين رأت أن المتصل لم يكن سوى يوسف.

أهلا يا بشمهندس.

أجابها على استعجال:

أهلا يا أستاذة أسيل، هو حضرتك في المكتب؟

ردت عليه باستغراب:

آه، في المكتب.

-طيب أنا خمس دقايق وأبقى عندك، ممكن تنزلي، هنروح مشوار.

-فين؟

رد عليها مسرعًا:

لما أقابلك هقولك، أنا خلاص قربت.

لم تفهم، لكنها أجابت بحسنًا، وانتهت المكالمة، لتمسك حقيبتها وتنزل إلى الأسفل.

رأته يقترب من المبنى بسيارته حتى توقف أمامها، لتركب وهي تحييه، ثم انطلق فورًا.

-في إيه يا باشمهندس يوسف؟ إحنا رايحين فين؟ وليه الاستعجال ده؟

يوسف بهدوء:

رايحين لحماده.

-حمادة!

ثم تابعت بفرحة:

هو اتصل بيك؟

أجابها ضاحكًا:

لا، أنا اللي اتصلت بيه.

احتلت معالم الدهشة وجهها، والتي سرعان ما اختفت، وحل محلها ملامح أخرى جادة، ثم هتفت بحزم:

باشمهندس يوسف، ممكن تفهمني هو في إيه؟

-حاضر.

ثم بدأ يقص عليها ما حدث في الأيام السابقة...

الخميس - الساعة ١١ مساءً

كان ينظر لتلك السيارة السوداء التي تقف أمامه، وهؤلاء الأشخاص ذوو الجثث الضخمة يقتربون منه، ليهمّ بالركض بعيدًا، ولكن هذا في أحلامه، فلقد أمسكوا به قبل حتى أن يفكر في ذلك.

حماده برعب، وهو يحاول الفرار من تحت أيديهم:

انتوا مين وعايزين إيه؟ أنا ماعملتش حاجة، سيبوني، سيبوني!

لم يتركوه، ولم ينزاحوا إنشًا واحدًا رغم مقاومته الشديدة، التي بالنسبة لهم لم تكن سوى نسمة هواء تداعب أجسادهم الضخمة.

توقفت مقاومته حين رأى باب السيارة يفتح ويترجل منها... يوسف!

همّ يوسف بالاقتراب من حماده، ثم أعطى للرجال أمرًا بتركه، ليسقط أرضًا والخوف قد تمكن منه.

نزل يوسف إلى مستواه، وهو ينظر له فقط.

ليسأله حماده بخوف:

حضرتك عايز مني إيه يا باشا؟

أجابه في هدوء مرعب:

عايز الحقيقة يا حماده.

هتف له حماده مسرعًا بصوت يغلبه التوتر:

الحقيقة، الحقيقة إني ماشوفتش حاجة يا بيه، أنا ماشوفتش حاجة!

صرخ عليه يوسف بصوت غاضب أفزعه:

ومدام ماشوفتش حاجة، شهدت عليه كذب ليييييييه؟

أنزل حماده رأسه بخوف إلى الأرض، ثم أجابه بضعف:

الحوجة يا بيه، الحوجة وحشة أوي.

أنا أمي مريضة سرطان، ماكُنتش قادر أشوفها كل يوم وهي بتتألم، وأنا مش قادر أساعدها عشان بس مش معايا أجيب ثمن علاجها. وفي يوم جالي أسطا سيد يطلب مني أشهد على عمر باشا، مقابل إنه هيتكفل بمصاريف علاج أمي كلها.

ثم انهمرت دموعه بشدة، مكملًا:

أنا عارف إني غلطت، بس أنا ماليش غيرها يا باشا، من دونها هبقى وحيد في الدنيا دي.

نظر له يوسف بشفقة، بعدما أدرك أخيرًا أن من أمامه ليس سوى طفل تم استغلاله من قبل شخص لا يدري عن الرحمة شيئًا.

اعتدل واقفًا، ثم مد يده دعوة منه له أن يمسك بها وينهض.

تردد حماده في بادئ الأمر وهو يرى يده الممدودة إليه، ولكن عندما نظر إلى وجهه، رآه يبتسم له ناظرًا له نظرة اطمئنان، فتشجع وأمسك بيده، ليسحبه يوسف مساعدًا إياه على النهوض.

ثم أعطاه هاتفه بعد أن التقطه من الأرض، بينما يسأله بهدوء:

بيتك قريب من هنا يا حماده؟

أجابه بتردد:

آه يا باشا، بيتي آخر الشارع.

ليبتسم له:

طيب تسمحلي أتمشى معاك لحد البيت؟

رد عليه مسرعًا:

آه طبعًا يا باشا، اتفضل.

أمر يوسف رجاله بالبقاء مكانهم، ثم انطلق هو وحماده يمشيان في طريقهما إلى منزله.

عمّ الصمت قليلًا عليهما قبل أن يكسره يوسف قائلًا بندم:

آسف لو خوفتك مني، أنا بس كنت عايز أعرف الحقيقة.

أجابه حماده بندم هو الآخر:

أنا اللي آسف يا باشا، مكنش المفروض أعمل كده وأشهد زور.
سامحني، وخلي عمر باشا يسامحني، وأي حاجة تقولي أعملها هعملها، أنا من إيدك دي لإيدك دي.

ليربت يوسف على كتفه بحنية لم يشعر بها حماده منذ زمن.

حتى وصلوا إلى منزله، ودعه يوسف بعد أن أعطاه مبلغًا من المال، ثم همّ بتركه، ولكنه توقف مكانه على صوت حماده، ليلتفت له متسائلًا:

محتاج حاجة يا حماده؟

أجابه ببعض التردد:

بصراحة يا باشا، في حاجة عايز أقولهالك، ممكن تفيد حضرتك في القضية...

نعود إلى الواقع على صوت رنين هاتف يوسف، الذي أسرع بالإجابة عليه عندما رأى أن المتصل حماده.

يوسف بلهفة:

ها يا حماده، لقيتها؟

-آه يا باشا، لقيتها، بس للأسف الورقة اللي كان كاتب فيها مقطوع منها العنوان.

سيطر الحزن على صوت يوسف وهو يسأل:

متأكد؟

-آه يا باشا، متأكد.

أنهى يوسف الاتصال معه، ثم بدأ بلكم مقود السيارة في غضب.

نظرت له أسيل في قلق:

في إيه يا يوسف؟ دفتر إيه دي؟ وإيه اللي قالهولك حماده إنه هينفعنا في القضية؟

أوقف يوسف السيارة على جانب الطريق، ثم أسند رأسه على الكرسي قبل أن يجيبها بصوت سيطر عليه اليأس:

قبل الحادثة بيوم، حماده سمع سيد وهو بيتكلم في التليفون، كان بيقول كلام غريب، زي: جبتلي الحاجة ولا لا؟ أنا مستعجل، الفيران كترت عندي في الورشة.

قاطعته أسيل سائلة إياه بجدية:

وإيه اللي خلى حماده يستغرب كلامه؟

عشان مشافش فيران عنده قبل كده في الورشة، وعمر ما حد اشتكى من العمال قبل كده إنه شاف فار.

أومأت بتفهم، ثم حثته على التكملة:

وبعدين؟

حماده فهم من كلامه إنه كان طالب من الشخص ده يجيب له الحاجة دي، والشخص ده مش هيقدر يجيبهاله، فسيد طلب منه العنوان وهو هيروح يجيبها بنفسه. وساعتها طلع دفتر من درج مكتبه وكتب فيه العنوان، فطلبت من حماده يحاول يجيبلي العنوان ده، يمكن يكون المكان اللي راحه ده له علاقة بالقضية.

سألته أسيل:

طيب وإيه اللي ضمنك إن الدفتر لسه في المكتب؟

حماده قالي إن الدفتر ده مش بيفارق الدرج بتاعه، لأن عليه حسابات الورشة كلها.

ثم أكمل بحزن:

بس خلاص ماعدش مهم، لأن الورقة مقطوع منها العنوان.

-كلم حماده ييجي حالًا ويجيب النوتة معاه.

تفاجأ يوسف من طلبها، ليعتدل ناظرًا لها في حيرة، قبل أن يسألها:

ليه؟ هتعملي بيها إيه؟

ارتسمت ابتسامة جميلة على محياها، ثم نظرت أمامها وهي تجيبه بثقة:

هجرب تجربة.

ظل يوسف ينظر لها، وإلى تلك الابتسامة الواثقة التي زينت وجهها، لتزحف البسمة إلى وجهه هو الآخر، ثم أمسك بهاتفه متصلًا بحماده...

بعد نصف ساعة

كان حماده يقترب من سيارة يوسف، بينما ينظر حوله في ترقب يثير الشبهات حقًا.

عندما رآه يوسف، أشار له بأن يركب، ليفتح الباب الخلفي للسيارة ويصعد.

يوسف بسخرية:

إيه يا بني اللي إنت بتعمله ده؟ هو في حد بيراقبك؟

ابتسم حماده، يجيبه بتوتر:

الحرص برضه واجب يا بيه.

لتقاطعهم أسيل وهي تسأله بجدية:

جبت الدفتر يا حماده؟

-آه جبته.

ثم أمسك قميصه رافعًا إياه ليخرج الدفتر، فقد كان يخبئه في صدره.

حماده وهو يمد يديه بالدفتر لأسيل:

اتفضلي.

أخذته أسيل، ثم بدأت تتفحص محتوياته حتى وجدت ورقة ممزق نصفها، وهناك بعض آثار قلم الحبر على الحواف المقطوعة.

أسيل بجدية:

هي دي الورقة يا حماده، مش كده؟

ليجيبها حماده مسرعًا:

آه هي.

أمسكت أسيل حقيبتها، ثم أخرجت منها قلم رصاص، وبدأت بتحريك القلم بخفة على الورقة التي تقع خلف الورق الممزقة، محدثة خربشات عديدة، بينما يراقبها كل من يوسف وحماده في استغراب مما تفعله، حتى انتهت.

لتبدأ بتمرير إصبعها على الورقة، تخفف آثار الرصاص عليها، حتى بدأت الكلمات تظهر تدريجيًا، وكأنها محفورة وسط السواد المحيط بها.

لترتسم البسمة على وجهها، وهي تهتف بانتصار أدهشهم:

العنوان بقى معانا...

* * * *

الرفاعي للمبيدات الحشرية!

توقف كل من أسيل ويوسف للحظات، وهما ينظران إلى الاسم المدون على لافتة المحل في صمت.

ليقررا الدخول بعد فترة، وعندما دخلا أبصرا رجلًا كبير السن، يتجاوز عمره الستين عامًا تقريبًا، يجلس على إحدى الكراسي.

ليقوما بإلقاء السلام عليه:

السلام عليكم.

الرجل:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

تؤمر بإيه حضرتك؟

يوسف بابتسامة:

الأمر لله.

ثم أخرج هاتفه، الذي عليه صورة سيد، وأعطاه إلى الرجل، وهو يسأله:

حضرتك شفت الراجل ده قبل كده هنا؟

تمعن الرجل في الصورة قليلًا قبل أن يجيبه:

مش فاكر والله يا بني.

آسيل بإصرار:

ممكن حضرتك تبص كويس في الصورة؟ المفروض إنه جه لحضرتك من شهر تقريبًا.

الرجل بأسف:

بجد مش فاكر يا بنتي، أنا راجل كبير وذاكرتي على قدي، مستحيل أفتكر حد جالي من شهر.

سيطر الحزن على ملامح أسيل ويوسف، فشكروه ثم همّوا بالانصراف، ولكن أوقفهم صوت الرجل ينادي عليهم، ليلتفتوا له.

– استنوا، أنادي على الولد اللي شغال معايا يمكن شافه.

ثم بدأ ينادي عليه.

خرج إليهم شاب في منتصف العشرينات يدعى أحمد.

أحمد:

تؤمر يا حاج؟

تعالى يا أحمد شوف البشوات عايزين إيه.

اقترب منهم أحمد، ليريه يوسف الصورة، وهو يسأله عمّا إذا رآه.

نظر أحمد إلى الصورة لثوانٍ قبل أن يجيبه:

آه يا باشا، شفته، ده جالنا من فترة.

انفرجت أسارير كل من يوسف وأسِيل، لتسأله أسيل في لهفة:

طيب فاكر جه اشترى من هنا إيه؟

– آه، تقريبًا جه اشترى كيس سم فئران صغير.

يوسف بفرحة:

أنت متأكد؟

أجابه أحمد مؤكدًا:

آه يا باشا، متأكد، هو ده يتنسي؟

أسيل باستغراب:

ليه بتقول كده؟ هو عمل إيه؟

ليبدأ أحمد بسرد ما جعل كل من يوسف وأسِيل عاجزين عن النطق...

يوم الجلسة

محكمة!

وقف جميع الحضور في قاعة المحكمة مع دخول القاضي احترامًا له، والتي كانت من بينهم أسيل تقف في شموخ مرتدية روب المحاماة الخاص بها في وقار يليق بها، وأيضًا يوسف وأبيه وصديق أبيه السيد فريد، والذي جاء ليقدم الدعم لأسيل،

بينما عمر كان يقف وحيدًا خلف القضبان في ترقب من القادم،

ثم بدأت الجلسة.

بدأت النيابة في عرض أحداثيات القضية والأدلة والشهود واحدة تلو الأخرى حتى انتهت، ليأمر بعدها القاضي بأن يتفضل الدفاع.

وقفت أسيل تأخذ نفسًا عميقًا قبل أن تبدأ بإلقاء مرافعتها، في ثقة بدت واضحة في صوتها:

سيادة رئيس المحكمة، السادة القضاة المحترمون،

أقف أمامكم اليوم لأدافع عن موكلي، الذي وُجّهت إليه تهم جسيمة لا تستند إلى أي دليل قاطع. لذا أطلب من سيادتكم الاستماع بعناية لكل ما سأطرحه من حجج وأدلة تثبت براءته.

سيدي القاضي، لطالما عُرف موكلي بحسن سيرته وسلوكه الطيب، ولم يسبق له أي تاريخ جنائي، كما أنه لا توجد أي مؤشرات تدل على أنه ارتكب الجريمة. فلا يوجد أي دليل مادي يربط موكلي مباشرة بالجريمة المنسوبة إليه، حيث إن ما تم تقديمه من آثار أو بصمات لا

يثبت بالضرورة تورطه، خصوصًا أنها تُعد جزءًا من الاستخدام اليومي، ولهذا فمن الممكن لأي شخص كان موجودًا في مسرح الجريمة أن يقوم بوضع السم في الكوب.

لذا فإن كل القرائن والافتراضات التي قدمها الادعاء غير كافية لإثبات الجريمة، ولا يمكن إصدار حكم بالإدانة دون يقين مادي لا يقبل التأويل. كما أنه لا يوجد شهود على قيام موكلي بوضع السم، فلم يكن هناك سوى موكلي، وابن الضحية صاحب العامين، وزوجها، والذي أعدّه من ضمن المتهمين لوجوده في مسرح الجريمة.

وعليه، فإن ادعاء الزوج بأن موكلي قام بتهديد الضحية بالقتل، والذي استند إليه الادعاء، يُعد ادعاءً غير صالح للإدانة. أما بالنسبة للشاهد المدعو حمادة، والذي شهد على صدق هذه الادعاءات اتجاه موكلي، فأرجو من سيادتكم السماح لي بإعادة استجوابه أمامكم، لوجود بعض النقاط التي تحتاج إلى توضيح، والتي قد تساعد في إظهار الحقيقة.

رد القاضي مجيبًا عليها بالقبول، مطالبًا حمادة بالتقدم نحوه.

تقدم حمادة بتوتر بدا عليه واضحًا، ليطالبه القاضي بأداء القسم، ثم بدأت أسيل بطرح الأسئلة.

أسيل بهدوء:

حمادة، هل فعلًا شفت عمر وهو بيهدد أخته بالقتل؟

صمت حمادة قليلًا، وهو يحاول استدعاء شجاعته التي تزعزعت بعد أن التقت عيناه بعيني سيد المتوعدة له إن تكلم.

لاحظت أسيل الخوف الذي بدا على وجهه فجأة، ونظره المثبت على الحضور، لتنظر إلى ما ينظر له، فتبصر هذا الكريه ينظر له نظرة شر.

التفتت أسيل له مرة أخرى، ثم نادته بهدوء:

حمادة.

نظر لها فابتسمت له مطمئنة:

متخافش من حاجة وقول اللي أنت عايزه، إحنا سامعينك.

ابتسامتها ونظراتها المطمئنة له جعلته يستدعي شجاعته مرة أخرى ليجاوبها بعزم:

ماحصلش، عمر باشا عمري ما شفته وهو بيهدد أخته، بالعكس في المرات اللي جه فيها الورشة قد إيه كان إنسان ذوق ورحيم، وعمره ما عاملني وحش.

ابتسمت أسيل على رده، ثم سألته بثقة :

طيب ليه يا حمادة شهدت إنك شفته قبل كده وهو بيهددها؟

-أسطا سيد اللي أجبرني أقول كده يا أستاذة.

ليندلع صوت هذا المدعو السيد صارخًا:

كذاب، ده عيل كذاب!

طرق القاضي بعصاه بقوة مهددًا إياه بالطرد إن لم يصمت، فصمت وعاد يجلس مكانه ناظرًا لحمادة بشر.

لتكمل أسيل:

أجبرك إزاي يا حمادة؟

أجابها بحزن:

أنا أمي مريضة سرطان، ومكنش معايا اللي يكفي علاجها، وفي يوم جالي وقالّي اشهد على عمر باشا بكده، مقابل إنه هيتكفل بعلاجها.

نهض سيد مرة أخرى يصيح مكذبًا له.

فحذره القاضي مرة أخرى منبهًا له بأنه آخر تحذير، ثم أشار لأسيل بأن تكمل.

أسيل:

في حاجة تانية عايز تقولها يا حمادة؟

أجابها بعزم:

آه في.

ثم بدأ يحكي قصة تلك المكالمة العجيبة حتى انتهى.

لترتسم الابتسامة على وجه أسيل قبل أن تردف بثقة:

سيدي القاضي، إذا لم تكن أقوال هذا الشخص المدعو سيد سوى افتراءات ألقاها على موكلي، مستعينًا لا بل مستغلًا حاجة طفل في

إثبات أكاذيبه النكراء تلك. أما بالنسبة لتلك المكالمة الغريبة التي شهدها حمادة، والتي قد تعني الكثير، فأنا ألتمس من سيادتكم السماح لشاهد آخر يحمل معلومات حاسمة بخصوص تلك المكالمة للإدلاء بشهادته أمامكم.

ليسألها القاضي عن مكان هذا الشاهد،

فأخبرته أسيل بأنه ينتظر خارج القاعة،

ليأمر القاضي بأن يدخلوه فورًا.

وهنا فتحت أبواب القاعة ليدخل منها الشاهد الذي جعل جبين سيد يتعرق من الخوف والتوتر،

حتى اقترب من المنصة ليسأله القاضي عن اسمه، فأجابه:

أحمد صفوان علي يا بيه.

ثم طلب منه أداء القسم قبل أن تبدأ أسيل بطرح أسئلتها عليه، ليؤديه ثم يجلس على إحدى الكراسي ووجهه مقابل الحضور.

لتبدأ أسيل بطرح الأسئلة عليه.

أسيل بجدية:

بتشتغل إيه يا أحمد؟

-بشتغل عامل في محل مبيدات حشرية.

أشارت أسيل بأصبعها إلى أحد الحضور، والذي لم يكن سوى سيد، الذي كان يرتعد داخليًا من الخوف.

-تعرف الشخص ده يا أحمد؟

رد عليها نافيًا:

لا ماعرفوش شخصيًا، لكن شكله مألوف جدًا بالنسبة لي، لأنه جالنا المحل من فترة.

-من فترة قد إيه يا أحمد؟

-تقريبًا من حوالي شهر كده.

-طيب فاكر اشترى إيه؟

رد عليها بثقة:

آه طبعًا، اشترى كيس سم فئران.

بدأت الهمهمات تعلو تدريجيًا في قاعة المحكمة، ليطرق القاضي بعصاه طالبًا منهم الهدوء.

لتكمل أسيل:

طيب ليه واثق إنه هو؟ ما يمكن حد تاني؟

حرك أحمد رأسه نافيًا، ثم رد عليها بإصرار:

لا مش حد تاني، أنا متأكد إن هو ده، ميتنسيش.

-ليه بتقول كده؟ ليه مايتنسيش؟

ليقُص عليها ما حدث في هذا اليوم:

اليوم اللي جه فيه اشترى الحاجة، كنت أنا بس اللي واقف في المحل، وبعد ما اشترى ومشي، رجع تاني بعد حوالي دقيقتين، وهو عمال يشتم ويزعق ويتهمني إني سرقت محفظته. بصراحة ماستحملتش طريقته وسرقته ليا، فحصلت خناقة كبيرة ما بيني وبينه لحد ما الناس اتجمعت وفصلتنا عن بعض، وفي الآخر دخلت مراته وهي معاها المحفظة بعد ما لقتها واقعة منه في العربية.

لتتعالى الهمهمات بين الحاضرين مرة أخرى، بينما نظرت أسيل إلى عمر سريعًا تتفحص حالته، والتي كانت مزرية بالطبع، وهو يستمع إلى كل تلك الحقائق البشعة، والتي قد لا تكون شيئًا بالنسبة لبشاعة القادم.

لتأخذ نفسًا عميقًا قبل أن تسأل أحمد:

أنت متأكد إن اللي كانت معاه دي مراته؟

ثم أخرجت صورة للمجني عليها وأعطتها له مردفة:

بص كويس، دي الست اللي شفتها معاه؟

أجاب أحمد بثقة:

آه، أنا متأكد إنها هي، زي ما أنا متأكد إني شايفك قدامي دلوقتي.

لتتوجه الأنظار جميعها إلى سيد، الذي كان قد وصل به الحد إلى أقصاه من التوتر، ليقف بطريقة هوجاء صائحًا بصوت عالٍ:

بتبصولي ليه؟ ها، بتبصولي ليه؟ مش أنا اللي قتلتها، هي اللي عملت كده في نفسها، هي اللي حطت السم، مش أنا!

التفتت له أسيل مردفة بسخرية:

حطته لنفسها؟ أنت عايزنا نصدق العبط ده؟

ليصرخ مرة أخرى:

آه، هي اللي حطته بإيديها ، بس مكنش المقصود إنها اللي تشربه، كان المقصود عمر اللي يشربه عشان تخلص منه وتاخد ورثه من الشقة، بس ماعرفش الغبيه دي إيه اللي خلاها تشربه.

حلت الصدمة على جميع من في القاعة بلا استثناء، لتفوق أسيل من صدمتها سريعًا وتنظر إلى عمر، لكن... أين عمر؟ لقد تحطم عمر. أصبحت رجلاه كالهلام لا تقوى على حمله، ليهوى ساقطًا أرضًا، وهو لا يصدق، فقط يريد أن يستيقظ من هذا الحلم البشع، أن يصرخ عاليًا بأعلى صوته: أيقظوني من هذا الكابوس أرجوكم، ولكنه لم يستطع، وكأن لسانه قد شُل، بينما الآلام قد تمكنت من قلبه حتى فاضت تغزو عقله، ليمسك رأسه شاعرًا بألم شديد يكاد يفتك به.

ألم الذكريات التي ظلت تتلاحق واحدة تلو الأخرى، حتى رأى تلك الذكرى مجددًا، ولكنها كانت تقف هناك عند الباب تنظر له بعينين كارهتين، بينما هو يبكي وحيدًا، وحيدًا تمامًا.

لينزل يديه ناظرًا للفراغ حينما أدرك أن حتى تلك الذكرى لم تكن سوى ما تمناه يومًا حينها.

وفي ظل حالته تلك، لم يكف سيد عن الصراخ أبدًا، بل ظل يردد بأنها هي الفاعلة، هي من أرادت قتله، ليأمر القاضي الضباط بإمساكه وإخراجه من القاعة، والحضور يتابعون ما يحدث في حالة ذهول تام مما تسمعه آذانهم من حقائق بشعة، حتى اختفى صوته تدريجيًا.

بينما أسيل كانت تتابع حالة عمر بعينيها، حتى التقت أعينهما، لتهرب الدموع من عينيه تخبرها بأن وقع الصدمة على قلبه كان كجرح ظل ينبض ألمًا لم ولن ينتهي.

فأحنت أسيل رأسها قليلًا، تحاول تجميع شتات نفسها من هذا الألم الذي وصل لها منه، قبل أن ترفع رأسها مجددًا ناظرة للقاضي مخاطبةً إياه بنبرة قوية سيطر عليها الحزن:

إذا، سيدي القاضي، ربما نحن أمام قضية لم تكن الضحية فيها سوى الجاني...

* * * *

بعد مرور أسبوعين

ها هي أسيل تخرج بانتصار من قاعة المحكمة بعد أن حكم القاضي ببراءة عمر، فلقد قام القاضي بإنهاء الجلسة السابقة وتأجيل الحكم للجلسة القادمة نظرًا لظهور أدلة واعترافات جديدة وجب فيها التحقيق أولًا، واليوم، وبعد سماع اعترافات سيد المدونة في التحقيق، والذي اعترف فيها بأنه والمجني عليها من أجل الاستيلاء على المنزل عقدوا النية على التخلص من عمر بوضع السم له في كوب الشاي، وأن يقوم سيد بإلهائه بأخذه للتحدث معه بينما تقوم المجني عليها بوضع السم له، لكن يشاء القدر أن تقوم هي باحتسائه، فكان السم هو أول ما تذوقته لتموت نتيجة طمعها وفعلتها الفحشاء تلك، وبناءً على هذا فقد حكم القاضي ببراءة عمر ولسيد بالحبس المشدد لمدة عشر سنوات مع الشغل والنفاذ.

اقترب كل من يوسف ووالده والسيد فريد يهنئون أسيل على فوزها بالقضية.

فريد بفخر:

زي ما توقعت منك يا أسيل، كنتي قد الثقة اللي ادتهالك.

والد يوسف بتأكيد:

بصراحة، رغم أني كنت واثق في مجاييك يا فريد، بس لما شوفتها، ثقتي زادت أكتر.

ثم تابع بامتنان:

شكرًا يا بنتي على كل اللي عملتيه.

ابتسمت أسيل بخجل على مدحهم، ثم أردفت:

مفيش شكر على واجب، أنا عملت اللي عليا مش أكتر، ثم أنا اللي بشكركم جدًا على ثقتكم فيا.

بجد دي حاجة كبيرة أوي بالنسبالي. ثم نظرت إلى يوسف والذي كان ينظر لها هو الآخر مبتسمًا:

وباشمهندس يوسف كمان كان ليه دور كبير أوي في ظهور براءة عم...

قاطع كلامها صوت رنين هاتفها لتستأذنهم أن تذهب كي تجيب على هذا الاتصال.

والد يوسف بعد ذهابها:

البنت دي جدعة أوي يا فريد، لكن دماغها ناشفة بجد، أنا متضايق أوي إنها مش عايزة تاخد ثمن تعبها.

رد عليه السيد فريد:

هي عشان عارفة إنك صديقي مستحيل تقبل تاخد منك فلوس أبدًا، بتعتبر كده إنها بتردلي الجميل. ثم تابع بحزن:

بس أنا مش فارق معايا، أهم حاجة إنها بقت كويسة وإنها خرجت من الحالة اللي كانت فيها زمان.

سيطر الفضول على يوسف ليسأله:

حالة إيه دي؟

تنهد فريد ببطء، وكأنه يسترجع ذكرى ثقيلة على قلبه، ثم أردف:

من ثلاث سنين، في يوم تخرجها من كلية الحقوق، اتعرضت هي وأهلها لحادثة عربية صعبة مات فيها أخوها الصغير وأمها وأبوها، وشاء ربنا إنها الوحيدة اللي تعيش، لكن كانت حالتها خطيرة ودخلت فترة في غيبوبة، ولما فاقت وعرفت بموتهم انهارت وحملت نفسها ذنب موتهم لأنها اللي كانت سايقة يومها، وده خلاها تدخل في اكتئاب حاد.

وبصوتٍ مثقلٍ بالألم ،أكمل :

ماقدرتش أشوفها بتموت قدامي كده، والدها الله يرحمه كان صديق عمري، فاعتبرتها أمانة منه، سابها ليه احتضنتها وودتها عند دكتور نفسي، وشغلتها معايا يمكن تنسى إحساسها بالذنب. ثم تنهد بحزن قائلاً:

ماعتقدش إنها نسيت، لكن الحمد لله إنها بقت أحسن على الأقل ظاهريًا.

ظهر التأثر على والد يوسف، بينما الصدمة احتلت وجه يوسف متأثرًا مما سمعه عنها أن تلك الفتاة القوية التي يعرفها لها ماضٍ أليم مثل هذا، وأنها عاشت كل تلك المعاناة التي قد لا يتحملها أحد حتى هو.

والد يوسف بتأثر:

ربنا يرحم أهلها ويسكنهم فسيح جناته.

ردد الجميع وراءه:

اللهم آمين.

ثم تركوا يوسف الذي ظل مكانه ينظر لها بينما تتحدث على هاتفها حتى انتهت، ليقترب منها سائلاً إياها بابتسامة:

لو مش وراكي حاجة ممكن أعزمك على فنجان قهوة؟

ترددت قليلاً ليمثل عليها الحزن:

إيه، هتحرجيني ولا إيه؟

فاستسلمت له موافقة...

* * * *

وضع النادل كوب القهوة على الطاولة لتشكره أسيل بلطف، ثم أمسكت الكوب مقربة إياه من أنفها تستنشق عبير القهوة الفواح قبل أن تتذوقه ملتذذة بطعمه، بينما هو يراقب تعابير وجهها وملامح الارتخاء التي ارتسمت عليها.

يوسف بابتسامة:

شكلك بتحبي القهوة أوي.

أومأت له برأسها ثم أجابته:

القهوة تعتبر أكتر حاجة بتفصلني عن كل اللي حواليا، يعني لما بكون مرهقة وعايزة أفصل بروح أقعد في أي مكان على النيل وأطلب قهوة.

-يا خسارة، في كافيه خرافي أعرفه بيطل على النيل، لو أعرف كنت خدتك هناك.

أجابته بابتسامة هادئة:

ولا يهمك، بجد المكان هنا حلو أوي.

حل الصمت بينهم قليلاً قبل أن يكسره يوسف قائلاً لها بامتنان:

شكرًا يا أسيل على كل اللي عملتيه عشان عمر.

-مفيش شكر على واجب، أنا عملت اللي عليا مش أكتر، ثم أنت كان ليك دور كبير أوي عشان نوصل لهنا، أنا بجد معجبة جدًا بصداقتكم دي وإخلاصكم لبعض.

ابتسم يوسف ابتسامة دافئة على ذكر صداقتهم، ثم أجابها:

عمر أنا مش بعتبره صديقي وبس، أنا بعتبره أخويا وأكتر كمان. ثم تنهد بحزن:

أنا قبل ما أعرف عمر كنت بني آدم تاني خالص، طايش ومش متحمل أي مسؤولية، تاعب أهله ومش عارف يبقى ناجح في أي حاجة، حتى مش قادر أعدي أول سنة في الكلية، لدرجة إني عدتها ثلاث مرات.

ثم ابتسم مجددًا مكملاً:

لكن لما اتعرفت على عمر، كل حاجة اتغيرت فيا، بقيت إنسان تاني خالص، علمني يعني إيه تحمل المسؤولية، إني أقدر تعب أهلي، والأهم أني أشكر ربنا على كل النعم اللي عندي، ورغم كل الظروف اللي كان

بيمر بيها، كان مُصِرّ يساعدني أنجح وأعدي السنة لحد ما عديت فعلا الحمد لله وبتقدير عالي كمان.

فزي ما قولتلك، عمر مش مجرد صاحب، ده أخ، ويمكن لو كان عندي أخ مكنش هيعمل معايا اللي عمله عمر.

ظهر على أسيل التأثر من الأخلاق النبيلة التي يتحلى بها هذا الشاب، لتقول له:

ربنا يخليكم لبعض، أنا برضو من أول مرة شفته فيها واتكلمنا، حسيت قد إيه هو بني آدم نقي وجواه خير، وده خلاني مُصرّة أكتر إني أظهر براءته. ثم أكملت بنبرة سيطر عليها الحزن:

شفت فيه أخويا الله يرحمه، لولا إنه توفي من ثلاث سنين كان هيبقى في سنه دلوقتي.

ردد يوسف بخفوت:

الله يرحمه.

انطلق صوت رنين هاتفها برقم السيد فريد ،الذي اخبرها بضرورة قدومها إلى المكتب لأخذ رأيها في إحدى القضايا.

فأخبرته بأنها قادمة، وانتهت المكالمة.

أسيل بابتسامة:

استأذنك يا باشمهندس، مضطرة امشي دلوقتي، أستاذ فريد محتاجني، وشكرًا على القهوة الحلوة دي. ثم نهضت.

نهض هو الآخر مسرعًا:

طيب استني أوصلك المكتب.

رفضت بلطف:

شكرًا بجد، بس ماينفعش، أنا هروح مشوار الأول وبعدين أعدي على المكتب.

أصر عليها:

طيب وفيها إيه، هوصلك المكان اللي تحبيه

-شكرًا بجد، بس معلش، المرادي سيبني على راحتي.

ليقرر يوسف أن يتركها على راحتها:

خلاص، اللي أنتِ عايزاه. ثم مد يده لها قائلاً بابتسامة تنبع من عينيه قبل شفتيه:

أنا بجد اتشرفت بمعرفتك يا أستاذة أسيل، وأتمنى ميكونش ده آخر لقاء بينا.

لتصافحه والبسمة تعلو شفتيها هي الأخرى:

أنا اللي ليا الشرف يا باشمهندس، وأكيد لو لينا نصيب نتقابل تاني، هنتقابل إن شاء الله.

ثم غادرت تاركة وراءها يوسف يتابعها بعينين تلمعان بشدة، تلمعان بما قد يكون البداية لشيء جميل، شيء جميل حقًا...

بعد مرور شهرين

انطلق صوت صراخ الطفل بفزع مع صوت رنين جرس المنزل الذي دوّى عاليًا في الأرجاء، ليخرج مسرعًا من المطبخ حاملًا إياه، ثم انطلق باتجاه الباب.

إيه يا بني ده، ما براحة على الجرس شوية،

خضّيت الواد.

كان هذا صوت عمر المتذمر من أفعال صديقه.

رد عليه يوسف باستفزاز وهو يأخذ منه سليم:

بس يلا، اوعى كده، مالكش دعوة بيا، أنا وسلم حبيب عمو.

ثم أخذ يداعبه لتنطلق ضحكات سليم عاليًا.

نظر له عمر بتذمر وكاد أن يتكلم، إلا أنه توقف عندما سمع صوتًا أنثويًا يردد:

ممكن أدخل؟

تفاجأ عمر من صاحبة الصوت، والتي لم تكن سوى أسيل.

أستاذة أسيل! آه طبعًا، اتفضلي.

ثم لكم يوسف على كتفه بغيظ.

مش تقول يا بني آدم أنت إن أستاذة أسيل معاك؟

رد له يوسف اللكمة في الحال، ولكنها أقوى، ليتأوه عمر عاليًا بألم.

بينما أخذت أسيل تضحك على مناقرتهم تلك، فكانوا كالقط والفأر.

قادهم عمر إلى الصالون للجلوس، ثم أمسك سليم واضعًا إياه على الأرض وأعطاه لعبته المفضلة ليلتهي بها قليلًا عنهم،

ثم تقدم منهم سائلًا بابتسامة:

تحبوا تشربوا إيه يا جماعة؟

رد يوسف:

اقعد دلوقتي بس شوية، وبعدين نشوف هنشرب إيه.

-ماينفعش يا بني.

ثم وجه كلامه لأسيل:

تشربي إيه يا أستاذة أسيل؟

أجابته بلطف:

اسمع كلام يوسف يا عمر، اقعد معانا شوية، وبعدين نشوف موضوع الشرب.

فجلس مستسلمًا لرغبتهم.

انطلقت ضحكات سليم فجأة وهو يتابع دوران النحلة الخاصة به بعد أن نجح وأدارها.

ليبتسموا جميعًا على صوت ضحكاته البريئة.

-قادر على مسؤوليته لوحدك؟

تفاجأ عمر من سؤال يوسف، فنظر له قليلًا ثم نظر إلى الطفل مجددًا مجيبًا

بصوت بدا عليه الحزن:

مابقاش ليه غيري بعد ما رفض أهل أبوه يربوه ورموه ليا كأنه مجرد شيء، مش طفل فقد أمه وأبوه فجأة.

لتسأله أسيل فجأة:

وقدرت تتخطى اللي أهله عملوه فيك؟

أغمض عينيه بألم ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن ينظر لها مجيبًا:

هبقى بكدب عليكِ لو قولتلك آه.

مش هقدر أنكر إني أحيانًا لما ببصله بفتكر اللي أخت... ثم توقف بألم مصححًا: اللي مامته عملته فيا.

لكن...

ثم نظر إلى الطفل مجددًا:

لكن زي ما هو محتاجلي أنا كمان محتاجله، وبنبرة حزينة أكمل: ده بقى عيلتي الوحيدة.

نظرت له أسيل بتأثر، بينما يوسف اقترب منه واضعًا يده على كتفه مقربًا إياه منه بقوة:

ماتقولش كده يا صاحبي، أنت مش لواحدك، أنا معاك وفي ظهرك.

ابتسم عمر بمحبة لصديقه ثم أجابه:

أنا عارف يا صاحبي، ربنا يخليك ليا.

ثم نظر لأسيل قائلًا لها بامتنان:

أنا بشكر حضرتك على كل اللي عملتيه عشان تخرجيني من السجن يا أستاذة أسيل.

أجابته أسيل بابتسامة جميلة:

مفيش شكر على واجب، أنا عملت اللي عليا مش أكتر، وآسفة جدًا على السؤال، أنا عارفة إنه قاسي شوية، بس كان لازم أتأكد إنك مش واخده بذنب أهله، لأنه مهما كان ده طفل مالوش ذنب في حاجة.

ثم تابعت بمرح:

وبعدين يا ريت تشيل الألقاب، أنت زي أخويا.

ليبادلها عمر الابتسامة بتفهم:

حاضر يا أسيل، ومفيش آسف على حاجة، أنا فاهمك.

ثم أكمل بفرحة:

أنا بجد مبسوط أوي من زيارتكم الحلوة دي، مليتوا علينا البيت أنا والواد سليم.

رد عليه يوسف بمرح:

أي خدمة يا عم.

نظر له عمر من طرف عينيه:

مش بتكلم عنك على فكرة، بتكلم عن أسيل.

ضحكت أسيل بقوة على يوسف وهي ترى نظرات الغيظ التي تشكلت في عينيه، لكن توقفت فجأة تنظر له باستغراب حين رأته ينهض من مقعده ثم اقترب منها جالسًا بجوارها، ساحبًا كفها حاضنًا إياه بين كفيه، ثم نظر إلى عمر قائلًا بانتصار:

مش مشكلة، أنا وأسيل واحد.

ثم نظر لها بحب لتزحف الحمرة إلى خديها.

بينما علت ملامح الدهشة وجه عمر قبل أن يبدأ بالاستيعاب وتحل محلها سعادة عارمة، لينهض من مكانه ساحبًا يوسف محتضنًا إياه بسعادة:

ألف ألف مبروك يا صاحبي، تستاهلوا كل خير بجد.

بادله يوسف حضنه بمحبة:

الله يبارك فيك يا صاحبي، وعقبال ما أفرح بيك يا رب.

ثم ابتعد عنه عمر ناظرًا لأسيل بفرحة:

ألف مبروك يا أسيل.

لتجيبه بخجل:

الله يبارك فيك يا عمر.

ثم نظرت إلى يوسف بحب تستذكر ما فعله من أجلها الشهرين الماضيين، وكيف كان يأتي لها المكتب كل يوم متحججًا بزيارة السيد فريد، على الرغم من معرفته بمواعيد قدومه، ولكنه كان يأتي قبل موعد قدومه وينصرف قبل قدومه أيضًا. ضحكت بداخلها وهي تتذكر تلك المواضيع التافهة التي كان يتحدث بها لساعات، والتي كانت لها كذلك، حتى أصبحت هي من تنتظر قدومه لسماع أحاديثه تلك، إلى أن جاء هذا اليوم، والذي فيه ولأول مرة أتى لزيارة السيد فريد حقًا، ثم انصرف متجاهلًا إياها تمامًا، ليطلب السيد فريد منها القدوم لمكتبه بعد ذلك ويخبرها بأن يوسف أتى يطلب منه يدها للزواج. لن تنسى كم تلبكت وقتها كثيرًا ،لم تعرف بما أو كيف ترد، فتفهم السيد فريد حالتها وأعطاها مهلة للتفكير قبل أن ترد عليه، و الآن ها هم يحضرون معا ليوم خطبتهم.

قاطع تفكيرها صوت عمر وهو يهتف بفرحة:

هنزل أجيب لكم بقى شربات عشان المناسبة الحلوة دي.

تعالت ضحكات يوسف على حماس صاحبه:

استهدى بالله يا بني وماتتعبش نفسك، وبعدين أنا نفسي في كوباية شاي من بتاعتك.

لتوافقه أسيل الرأي:

وأنا كمان نفسي أدوق الشاي بتاعك من كتر ما يوسف بيحكي عنه.

عمر بمحبة:

بس كده، غالي والطلب رخيص، طيب بتحبوه بكام معلقة سكر؟

رد عليه يوسف بمرح:

عيب تسألني السؤال ده يا صاحبي، ما إنت عارف، بحبه سكر زيادة.

أسيل:

وانا نص معلقة بس.

-بس كده، من عيوني.

ثم ذهب إلى المطبخ لتحضيره.

بينما جلس كل من يوسف وأسيل يتحدثون قليلًا قبل أن يستأذن منها يوسف للذهاب الى الحمام، وفي نفس الوقت عاد عمر من المطبخ حاملًا صينية دائرية عليها كوبان من الشاي، ليتركها على طاولة الصالون قائلًا بمرح:

-وادي أحلى كوبايتين شاي لأحلى عرسان.

شكرته أسيل بخجل، ثم سألها عن يوسف لتخبره بذهابه للحمام، وفي أثناء محادثتهم رن هاتف عمر فاستأذنها أن يذهب لكي يجيب على هذا الاتصال ويعود سريعًا.

أجابته مسرعة:

آه طبعًا، اتفضل، خد راحتك.

ذهب عمر، بينما ظلت أسيل تراقب الصغير وهو يلعب بمرح، علت البسمة شفتيها وهي تراه ينهض من مكانه يمشي ببطء متجهًا نحوها، حتى اقترب من الطاولة ثم مد يديه ممسكًا بالصينية، فنهضت من مكانها مسرعة كي تحمله بعيدًا عنها، لكنها توقفت مكانها حين بدأت يديه الصغيرتين تدير الصينية ببطء... كلعبة النحلة خاصته!

كانت ضحكاته البريئة تتعالى عاليًا، بينما هي اختفت الابتسامة من على وجهها تدريجيًا تاركة محلها ملامح الصدمة تتشكل رويدًا رويدًا حينما أدركت أنها الآن أمام حقيقة مؤلمة، حقيقة مؤلمة بحق...

بعد قليل، عاد يوسف من الحمام ليجد أسيل صامتة تمامًا.

يوسف بتساؤل:

مالك يا سيلا، في حاجة؟

أجابته بهدوء:

لا، مفيش، بس مجهدة شوية.

قاطعهم دخول عمر ليتأسف لهم معتذرًا:

آسف لو اتأخرت عليكم.

يوسف بمرح:

لا يا عم، لا تأخرت ولا حاجة، أنا لسه خارج من الحمام أصلًا.

ماشي يا عم، يلا اشربوا الشاي قبل ما يبرد.

ثم أمسك إحدى الأكواب، و أعطاها لأسيل لتأخذها منه شاكرة، وفعل الأمر ذاته مع يوسف.

نظرت أسيل إلى الكوب قليلا ثم رفعته الي شفتيها لتهم بأخذ أول رشفة منه ،لكنها توقفت مكانها عندما اخترق صوت يوسف مسامعها قائلاً :

إيه يا معلم، نسيت تحط سكر ولا إيه؟

النهاية...

لمتابعة الكاتبة د. تسنيم عبد التواب على الفيسبوك

(حياة في رواية -تسنيم محمد):

https://www.facebook.com/share/19wcZgHDRp/?mibextid=wwXIfr

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023